

التبيان في تفسير القرآن

(283) الثاني - أضله ا ب بمعنى خذله. ولم يوفقه كما وفق المؤمنين، لانهم لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم، فيريدون الدفاع عن قتالهم مع ما حكم ا ب بضلالهم وخذلانهم. وقال الجبائي: المعنى ومن يعاقبه ا ب على معاصيه، فلانجد له طريقا إلى الجنة. وطعن على الاول من قول البغداديين ان المراد به التسمية، والحكم بأن قال: لو أراد ذلك، لقال: ومن ضلل ا ب وهذا ليس بشئ، لانهم يقولون: أكفرته وكفرته، وأكرمته وكرمته: إذا سميته بالكفر أو الكرم قال الكمي: فطائفة قد أكفروني بحكمكم * وطائفة قالوا مسيء ومذنب (1) ويحتمل أن يكون المراد وجدهم ضللا، كما قال الشاعر: هبوني امرأمنكم أضل بعيره أي وجده ضالا، ثم قال لهم أليس ا ب قال: ويريد الشيطان أن يضلهم ضللا بعيدا " (2) أنرى أراد أن الشيطان يخلق فيهم الضلالة؟ بل انما أراد يدعوهم إليها ولاخلاف أن ا ب تعالى لايدعو إلى الضلالة، ويقوي قول من قال: المراد به التسمية. قوله: (أتريدون أن تهدوا من أضل ا ب) وانما أراد ان تسموهم مهتدين لانهم كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فحينئذ رد ا ب عليهم، فقال: لاختلفوا في هؤلاء، وقولوا باجمعكم: إنهم منافقون. ولم يكونوا يدعونهم إلى الايمان، فخالفهم أصحابهم، فعلم ان الصحيح ما قلناه، ثم أخبر ا ب تعالى فقال: " ومن يضل ا ب يعني من خذله " فلن تجد له سبيلا " يامحمد ولاطريقا. ومن قال من المجبرة: إن قوله: " أركسهم بما كسبوا " يدل على أنه أوقعهم في النفاق. فقولهم باطل، لانه قال: بما كسبوا، فبين انه فعل بهم ذلك على وجه الاستحقاق. وذلك لايليق إلا بما قدمناه، لانه لو أوقعهم في النفاق (3) لمعصية تقدمت، لكان يجب أن

(1) خزنة الادب: 236. (2) سورة النساء: آية 59. (3) (في النفاق) ساقط من المطبوعة.